لدوميات اغراضه جاريه لا منكر لها ولا يتلقاه احد بموعظه بل بالمدح
التي تقوى هوى النفس وانما ينبغي ان يقاوم الامراض باضدادها كما قال لي
عمر بن المهاجر قال لي عمر بن عبد العزيز اذا رايتني قد حدت عن الحق فخذ بثيابي
وهزني وقل مالك يا عمر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحم الله من
اهدى الينا عيوبنا فاحوج الخلق الى المواعظ والنصايح السلاطين واما
جنود جمهورهم في سكر الهوى وزينة الدنيا وقد انضاف الى ذلك
الجهل وعدم العلم فلا يؤلمهم ذنب ولا ينزعجون من لبس حرير او شرب
خمر حتى ربما قال بعضهم ايش يعمل الجندي لا يلبس القطن ثم اخذهم
الاشيا من غير وجهها فالظلم معهم كالطبع وارباب البوادي قد غمرهم
الجهل واهل القرى فكذلك تقلبهم في الانجاس والتهوين وامر الصلوات
وربما صلت المراه منهن قاعده ثم نظرت في التجار فرايتهم قد غلب
عليهم الحرص حتى لا يرون سوا وجوه الكسب كيف كانت وصار الربا
في معاملاتهم فاشيا فلا يبالي احدهم من اين حصل له الدنيا وهم في باب
الزكاه مفرطون ولا يستوحشون من تركها الا من عصم الله ثم نظرت
في ارباب المعاش فوجدت الغش في معاملاتهم عاما والتطفيف والبخس
وهم مع هذا مغرورون بالجهل ورايت عامة من له ولد يشغله ببعض
هذه الاشغال طلبا للكسب قبل ان يعرف ما يجب عليه وما ينادب به

ثم نظرت

ثم نظرت في النسا فرايتهن قليلات الدين عظيمات الجهل ما عندهن من
الاخرة خبر الا من عصم الله قلت واعجبا من بقي لحرمة الله عز وجل ومعرفته
فنظرت فاذا العلما والمتعلمون والعباد المتزهدون فتاملت العباد
والمتزهدين فرايت جمهورهم يتعبد بغير علم ويانس الى تعظيمه وتقبيل
يده وكثرة اتباعه حتى ان احدهم لو اضطر الى ان يشتري حاجة من السوق
لم يفعل لئلا ينكسر جاهه ثم يترقى بهم رتبة الناموس الى ان لا يعودوا
مريضا ولا يشهدوا جنازة الا ان يكون عظيم القدر عندهم ولا يتزاورون
بل ربما ضن بعضهم على بعض فقد صارت النواميس كالاوثان يعبدونها
ولا يعلمون وفيهم من يقدم على الفتوى بجهل لئلا يخل بناموس التصدر
ثم يعيبون العلما لحرصهم على الدنيا ولا يعلمون ان المذموم من الدنيا ما هم
فيه لا تناول المباحات ثم تاملت العلما والمتعلمين فرايت القليل
في المتعلمين من عليه امارة النجابة لان امارة النجابة طلب العلم للعمل
به وجمهورهم يطلب ما يصيره شبكة للكسب اما ليأخذ قضا مكان او
ليصير قاضي بلد او قدر ما يتميز به عن ابنا جنسه ثم يكتفي ثم تاملت العلما
فرايت اكثرهم يتلاعب به الهوى ويستخدمه فهو يوثر ما يصده العلم عنه
ويقبل على ما ينهاه ولا يكاد يحذر ذوق معاملة الله سبحانه وانما همته
ان يقول الا ان الله لا يخلي الارض من قايم له بالحجة جامع بين العلم والعمل

تامل

Copyright © King Saud University